

المبحث السادس

الاعجاز العلمي

يذهب جماعة من العلماء الى أن من وجوه اعجاز القرآن اشتماله على العلوم والمعارف التي لم يعهدوها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولم يشتمل عليها كتاب من قبل، فدع القرآن الناس الى التدبر في هذا الكون ونومسيه، والى ما فيه من مخلوقات، فشد أنظار العلماء اليه في ذلك.

ويعتبر الإمام أبو حامد الغزالى أول من أشار اليه حيث قرر في دراسته لاعجاز القرآن ضرورة تفسير آيات قرآنية تحمل دلالات علمية تفسيرا علميا يتناسب مع ما تحمله تلك الآيات من علوم وأسرار، وتتابعه الإمام الرازي المفسر في مشروعه هذا.

أشار القرآن الى حقائق علمية لم تكن معلومة للناس وقت نزول القرآن، لعدم امكانية التعرف عليها آنذاك، ولما جاء العلم فأثبتتها وسيثبت ما لم يعرف منها بعد، كان ذلك دليلا على اعجاز القرآن وانه من عند الله تعالى المحيط بكل شيء.

والناظر في القرآن يجد فيه عرضا من خبير بأسرار الكون محاطا بعلومه في كافة مجالات العلوم، في البر والبحر، في الأرض والسماء، في النجوم والكواكب، في الإنسان والحيوان والنبات، قال تعالى:(وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلأ تبصرون).

ان القول بهذا الوجه من الاعجاز يثبت للقرآن بمجموعه، اذ انه يتحقق به كاملا وليس آية او آيات دون غيرها. وليس المقصود من هذا أن القرآن كتاب علمي احتوى جميع العلوم جملة وتفصيلا، وإنما المقصود أنه أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته لصلاح دنياه وأخراه، كما أنه ليس معناه أن القرآن جعل العلوم الكونية من موضوعه أو وظيفته، لأن وظيفته هي الهدایة والارشاد وانقاد الإنسانية من الضلال، وان ورود مثل تلك الاشارات العلمية هي من قبيل الدعوة الى البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر، قال تعالى:(قل انظروا ماذا في السموات والأرض).

وهناك تيار معارض يتحفظ على اعتبار هذه الاشارات اعجازا قرآنيا، وان كانت تثبت أن القرآن من عند الله تعالى لمبررات ساقوها نذكرها باختصار:

١. جعل الارتباط بين القرآن والحقائق العلمية وجها من وجوه الاعجاز يعتبر خلطا بين التفسير العلمي وعلم الاعجاز.
٢. ان اعجاز القرآن دليل على صدق النبوة وان محمدا رسول الله، وان التحدي كان بنظمه وأسلوبه وبيانه لا شيء خارج عنها.
٣. ان وجود التوافق والانسجام بين الآيات الكونية في القرآن ومعطيات العلم الحديث، ليس دليلا على اعجاز القرآن بل هو دليل على أنه منزل من عند الله.
٤. الآيات الكونية لا تشمل عموم القرآن، والاعجاز يجب أن يتتوفر في عموم آيات وسور القرآن، والقول بالاعجاز العلمي يخرج أكثر آيات وسور القرآن من الاعجاز.

٥. ان هذا الوجه لا يتوصل اليه الا بعض العلماء الذين يدركون هذه الحقائق، ومن لم يكن منهم فانه محجوب عن معرفة أسراره.
٦. الحيطة من الوقوع في التمحل وتحميل آيات القرآن ما لا تحتمله لاثبات اعجاز القرآن.
٧. القرآن كتاب هداية وعقيدة وشريعة وليس كتابا علمي، والبحث في هذه المسائل يخرجه عن وظيفته.
٨. ان اعجاز القرآن ثابت وليس بحاجة الى هذا اللون لاثبات اعجازه.
٩. أن معطيات العلوم من نظريات هي متغيرة وغير ثابتة، بينما القرآن الكريم ثابت في أحکامه، وربط الثابت بالمتغير يوقعنا في مزائق لا داعي من الانجرار اليها.

هذه جملة من حجج المانعين لقول بالاعجاز العلمي ورد عليها القائلين به والذين يرون أن هذا اللون هو الأظهر والمناسب لواقعنا المعاصر الذي وصل الى ما وصل اليه في مجالات العلوم المتعددة والكشف عن أسرارها، وفيما يلي جملة من ردودهم على المانعين:

١. أن في القرآن اشارات كثيرة لا تقبل لجدل منها مفصلة ومنها مجملة تشير الى حقائق علمية قد ثبتتها الحديث لا يمكن اغفالها.
٢. ان القرآن الكريم جاء مؤيدا لكثير من الحقائق العلمية التي لم يوفق اليها العلماء الا بعد اربعة عشر قرنا من نزوله، وان موافقته للحقائق العلمية هو يدل على أن القرآن كلام الله تعالى والكون خلق الله، وإذا كانا كذلك فلا بد من انسجامهما.
٣. ان الاعجاز العلمي اليوم هو أظهر الأدلة على أن القرآن من عند الله، ولاسيما بعد أن فسد اللسان العربي، وفقدت المعايير البلاغية قيمتها، ولم يعد بامكان الناس تذوق البيان.
٤. ان القرآن انزل برسالة خالدة عامة لجميع البشر في كل زمان ومكان، ولكي يكون دليلا على صدق من أنزل عليه وأرسل به، كان لا بد أن يثبت اعجازه لجميع الأمم حتى تتثبت الحجة عليهم.
٥. ان هذا اللون من وجوه الاعجاز لفت نظر المسلمين الى ضرورة الأخذ بالعلوم، والاستفادة من أسباب الرقي والتقدم، لأن كتابهم أرشد الى ذلك وأولاده اهتماما.
٦. ان استكشاف ما جاء في القرآن من اشارات علمية هي لا تعارض كونه كتاب هداية وارشاد، وهذا لا يعطي الحق لأهله ولأي سبب بالتمحل والتکلف وتحميل الفاظ القرآن ما لا تحتمل، أو أن تحمل على النظريات الغير قطعية، لأن الواجب أن لا يحمل الا على الحقائق العلمية الثابتة التي قطع العلم بصدقها ولا مجال للشك فيها.

نماذج قرآنية تتضمن حقائق علمية:

- قال تعالى: ﴿أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَسَقُتُهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ النَّمَاءِ كُلًّا شَنِيعًا حَتَّىٰ أَفَلَأَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقْرِئِهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرُ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَثْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلَيْلٌ سَاقِي الْنَّهَارِ وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبُحُونَ﴾ [بس: ٣٨ - ٤٠]

قال تعالى: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمَدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ» [الذاريات: ٤٧]

قال تعالى: «خَلَقْنَاكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجًا وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَمِ شَمْبَنَيَّةً أَرْوَاحَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتِ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ» [الزمر: ٦]

قال تعالى: «أَيْحَسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّنَّ تَجْمَعَ عِظَامَهُ وَبَلَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ تُسْوِي بَنَائَهُ» [القيامة: ٣-٤] «أَيْحَسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّنَّ تَجْمَعَ عِظَامَهُ وَبَلَ قَدِيرٌ عَلَى أَنْ تُسْوِي بَنَائَهُ» [القيامة: ٣-٤]

قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ أَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَنْجَدُتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ أَبْيُوتَ لَيْسَ الْعَنْكَبُوتَ لَوْ كَانُوا يَعْمَلُونَ» [العنکبوت: ١]

قال تعالى: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةٌ سُقِيرُكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَّا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّرِّيْنِ» [النحل: ٦٦]

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِإِيمَنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا» [النساء: ٥٦]

وهناك وجوها أخرى لا مجال للخوض فيها بسبب ضيق الوقت في الظرف الحالي كالاعجاز العددي والاعجاز النفسي والاعجاز الافتراضي والنغمي.

والحمد لله تعالى وله له امنة والفضل أولا وآخرا.